الحلقة 4

# ركائز الإيمان ودرس في الصبر على قتال الأعداء

إعداد: هشام المنشاوي

# «نهاوند» .. فتح الفتوح ضد الفرس

معركة نهاوند من المعارك الفاصلة في الفتح الإسلامي لفارس. وقعت في خلافة عمر بن الخطاب، سنة 21 هـ (642 م) وقيل سنة 18 أو 19 هـ قرب بلدة نهاوند في فارس، وانتصر فيها المسلمون انتصاراً كبيراً بقيادة النعمان بن مقرن على الفرس الساسانيين، إلا أن النعمان قتل في المعركة. بانتصار المسلمين انتهى حكم الدولة الساسانية في إيران بعد أن دام حكمها 416 عاما.

عن السائب بن الأقرع قال : زحف للمسلمين زحف لم يُرَ مثله قط، رجف له أهل ماه وأصبهان وهمذان والري وقومس ونهاوند وأذربيجان، قال : فبلغ ذلك عمر فشاور المسلمين.

فقال علي : أنت أفضلنا رأياً وأعلمنا بأهلك. فقال : لأستعملن على الناس رجلاً يكون لأول أسنّة يلقاها ،–أي أول من يتلقى الرماح بصدره ،كناية عن شجاعته– ياسائب اذهب بكتابي هذا إلى النعمان بن مُقرّن، فليسر بثلثي أهل الكوفة، وليبعث إلى أهل البصرة، وأنت على ما أصابوا من غنيمة، فإن قُتل النعمان فحذيفة الأمير، فإن قُتل حذيفة فجرير بن عبد الله، فإن قُتل ذلك الجيش فلا أراك.

لما انتصر المسلمون في القادسية على الفرس كاتب يزدجرد أهل الباب والسند وحلوان ليجتمعوا فيوجهوا ضربة حاسمة للمسلمين، فتكاتبوا واجتمعوا في نهاوند.

وأرسل سعد بن أبي وقاص إلى عمر : (بلغ الفرس خمسين ومائة ألف مقاتل، فإن جاؤونا قبل أن نبادرهم الشدة ازدادوا جرأة وقوة، وإن نحن عاجلناهم كان لنا ذلك).

وأرسل عمر إلى سعد محمد بن مسلمة ليخبره أن يستعد الناس لملاقاة الفرس، فغادر سعد الكوفة إلى المدينة ليخبر عمر بخطورة الموقف شفاهة، فجمع عمر المسلمين في المدينة، وخطب فيهم وشرح لهم خطورة الوضع، واستشارهم، وأشاروا عليه أن يقيم هو بالمدينة، وأن يكتب إلى أهل الكوفة فليخرج ثلثاهم لمساعدة الجيش الإسلامي وأهل البصرة بمن عندهم. ثم قال عمر : أشيروا عليّ برجل يكون أوليه ذلك الثغر غداً، فقالوا : أنت أفضل رأياً وأحسن مقدرة، فقال : أما والله لأولين أمرهم رجلاً ليكونن أول الأسنة – أي : أول من يقابل الرماح بوجهه – إذا لقيها غداً، فقيل : من يا أمير المؤمنين ؟ فقال : النعمان بن مقرن المزني، فقالوا : هو لها.

ودخل عمر المسجد ورأى النعمان يصلي ،فلما قضى صلاته بادره عمر : لقد انتدبتك لعمل، فقال : إن يكن جباية للضرائب فلا، وإن يكن جهاداً في سبيل الله فنعم. وانطلق النعمان عام (21) للهجرة يقود الجيش، وبرفقته بعض الصحابة الكرام.

وطرح الفرس حسك الحديد – مثل الشوك يكون من الحديد – حول مدينة نهاوند، فبعث النعمان عيوناً فساروا لايعلمون بالحسك، فزجر بعضهم فرسه فدخلت في يده حسكة، فلم يبرح الفرس مكانه، فنزل صاحبه ونظر في يده فإذا في حافره حسكة، فعاد وأخبر النعمان بالخبر، فاستشار جيشه فقال : ماترون؟ فقالوا : انتقل من منزلك هذا حتى يروا أنك هارب منهم، فيخرجوا في طلبك، فانتقل النعمان من منزله ذلك، وكنست الأعاجم الحسك فخرجوا في طلبه، فرجع النعمان ومن معه عليهم، وقد عبأ الكتائب ونظم جيشه وعدده ثلاثون ألفاً، وجعل على مقدمة الجيش نعيم بن مقرن، وعلى المجنبتين : حذيفة بن اليمان وسويد بن مقرن، وعلى المجردة القعقاع بن عمرو، وعلى الساقة مجاشع بن مسعود، ونظم الفرس قواتهم تحت إمرة (الفيرزان)، وعلى مجنبتيه (الزردق) و(بهمن جاذويه) الذي ترك مكانه ل(ذي الحاجب).

اجتمع المسلمون حول نهاوند واجتمع الفرس فيها وأميرهم «الفيرزان». أرسل أحد قواد الفرس واسمه «بندار» إلى جيش المسلمين: أن أرسلوا إلينا رجلاً نكلمه، فذهب إليهم داهية المسلمين «المغيرة بن شعبة» بمنظر رهيب وشعر مسترسل طويل، فلما وصل إليهم استشار «بندار» أصحابه بأي هيئة نأذن له؟ هل بشاراتنا وملكنا وفخامتنا؟ حتى نرهبهم بقوة ملكنا أم بالتقشف حتى يزهدوا بنا ولا يطمعوا في ملكنا؟ فأشاروا عليه: بل بأفضل ما يكون من الشارة والعدة، فتهيؤوا له بأفخر الأثاث والثياب.

دخل المغيرة، فقرّبوا إلى جسمه ووجهه الحراب والنيازك يلتمع منها البصر وجند «بندار» حوله كي يزيدوا المنظر رهبة، أما «بندار» فعلى سرير من الذهب وعلى رأسه تاج نفيس.

قال المغيرة: فمضيت فصاروا يدفعونني ويزجرونني. فقلت: الرسل لا يُفعل بهم هذا. فقالوا: إنما أنت كلب. يقول المغيرة: فقلت: لأنا أشرف في قومي من هذا في قومه – وأشار إلى بندار –.

فانتهره الجند وقالوا: اجلس. فجلس فتكلم «بندار» وتُرجم للمغيرة، ومما قاله: إنكم معشر العرب أبعد الناس من كل خير، وأطول الناس جوعاً، وأشقى الناس شقاءً، وأقذر الناس قذراً، وأبعدهم داراً، وما منعني أن آمر هؤلاء الأساورة حولي أن ينتظموكم بالنشّاب إلا تنجُساً لجيفكم فإنكم أرجاس، فإن تذ

قال المغيرة: فحمدت الله وأثنيت عليه ثم قلت: والله ما أخطأت من صفتنا شيئاً ولا من نعتنا، إن كنا لأبعد الناس داراً، وأشد الناس جوعاً، وأشقى الناس شقاءً، وأبعد الناس من كل خير، حتى بعث الله – عز وجل – إلينا رسوله – صلى الله عليه وسلم – فوعدنا النصر في الدنيا والجنة في الآخرة فوالله ما زلنا نتعرف من ربنا منذ جاءنا رسوله الفتح والنصر، حتى أتيناكم، وإنا والله لا نرجع إلى ذلك الشقاء أبداً حتى نغلبكم على ما في أيديكم أو نُقتل بأرضكم، وإني أرى عليكم بزّةً وهيئة ما أرى مَن خلفي يذهبون حتى يصيبوها.

قال المغيرة: فقلت في نفسي: لو جمعتُ ثيابي فوثبت وثبة فقعدت مع هذا العلج «بندار» على سريره لعله يتطير؟ قال: فوجدت غفلة فوثبت فإذا أنا معه على سريره، فصرخ «بندار» خذوه، فأخذه الجند وصاروا يطأونه بأرجلهم، فقال المغيرة: هكذا تفعلون بالرسل! فإنا لا نفعل هكذا ولا نفعل برسلكم هذا.

شعر «بندار» أن المغيرة بدأ يحطم من معنويات جنده، لأنه بدأ يُظهر عزّته الذي هذّبه بها الإسلام، وظهرت سوء أخلاقيات الفرس، فأراد أن يقطع هذه المناظرة فقال: إن شئتم قطعتم إلينا، وإن شئتم قطعنا إليكم. فعاد المغيرة واستشار قائد الجيش النعمان، فقال النعمان: اعبروا..

## مناوشات حادة والحرب سجال بين الفريقين

أنشب النعمان القتال يوم الأربعاء، ودام على شكل مناوشات حادة إلى يوم الخميس، والحرب سجال بين الفريقين، وكان الفرس خلالها في خنادق.

وخشي المسلمون أن يطول الأمر فاستشار النعمان أصحابه، فتكلم قوم فردت آراؤهم، ثم تكلم طليحة فقال :أرى أن تبعث خيلاً مؤدبة، فيحدقوا بهم، ثم يرموا لينشبوا القتال، ويحمشوهم – أي يغضبوهم – ، فإذا أحمشوهم واختلطوا بهم وأرادوا الخروج أرزوا – أي انضموا– إلينا استطراداً – أي خديعة –.. وآثر الجميع هذا الرأي فأمر النعمان القعقاع أن ينشب القتال فأنشبه، فخرج الفرس من خنادقهم، فلما خرجوا نكص القعقاع بجنده، ثم نكص ثم نكص، وخرج الفرس جميعاً فلم يبق أحد إلا حرس الأبواب ،حتى انضم القعقاع إلى الناس، والنعمان والمسلمون على تعبيتهم في يوم جمعة في صدر النهار، وأقبل الفرس على الناس يرمونهم حتى أفشوا فيه الجراحات، والمسلمون يطلبون من النعمان الإذن بالقتال، وبقي النعمان يطلب منهم الصبر.

فلما جاء الزوال وتفيأت الأفياء وهبت الرياح أمر بالقتال، كل ذلك إحياء لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان يختار هذا الوقت للقتال، وعندئذ ركب فرسه وبدأ يحرض المسلمين على القتال، ثم قال : فإن قتلت فلأمير بعدي حذيفة، وإن قتل فلان.. وعد سبعة.

وكبر النعمان التكبيرة الأولى ثم الثانية، ثم قال : اللهم اعزز دينك وانصر عبادك، واجعل النعمان أول شهيد اليوم على إعزاز دينك ونصر عبادك، اللهم إني أسألك أن تقر عيني اليوم بفتح يكون فيه عزالإسلام، أمنوا رحمكم الله. فبكى الناس.

وكبر النعمان التكبيرة الثالثة، وبدأ القتال، وأثناء تقدم القائد بدأ الفرس يتركون الساحة وزلق بالقائد فرسه من كثرة الدماء في أرض المعركة، فصرع بين سنابك الخيل، وجاءه سهم في جنبه، فرآه أخوه نعيم فسجاه بثوب، وأخذ الراية قبل أن تقع وناولها حذيفة بن اليمان فأخذها، وقال المغيرة : اكتموا مصاب أميركم حتى ننتظر ما يصنع الله فينا وفيهم ؛ لئلا يهن الناس.

ولما زلق فرس النعمان به لمحه معقل بن يسار فجاءه بقليل من الماء، فغسل عن وجهه التراب، فقال النعمان : من أنت ؟ قال : أنا معقل بن يسار، قال : ما فعل الناس ؟ قال : فتح الله عليهم، قال : الحمد لله، اكتبوا بذلك إلى عمر، وفاضت روحه.

ولما أظلم الليل انهزم الفرس وهربوا دون قصد فوقعوا في واد، فكان واحدهم يقع فيقع معه ستة، فمات في هذه المعركة مائة ألف أو يزيد، قتل في الوادي فقط ثمانون ألفاً، وقتل ذو الحاجب، وهرب الفيرزان، وعلم بهربه القعقاع فتبعه هو ونعيم بن مقرن فأدركاه في واد ضيق فيه قافلة كبيرة من بغال وحمير محملة عسلاً ذاهبة إلى كسرى، فلم يجد طريقاً فنزل عن دابته وصعد في الجبل ليختفي، فتبعه القعقاع راجلاً فقتله.

## المسلمون يطاردون الفرس في الصحراء

بعد أن عاد المغيرة و تحدث مع النعمان عن الذي دار ، تيقن أنه عليه أن يبدأ الحرب ، في ذاك الوقت كان الفرس مختبئين في الخنادق ، فكان رأي المسلمين أن يبدأوا بالمناوشة حتى يخرج الفرس من هذه الخنادق .

و حينها خرج فعلا الفرس من الخنادق ، و لم يبقى إلا حرس الأبواب ، ثم بدأ الفرس في إصابة المسلمين و كان النعمان لم يأمر بالقتال ، و طلب منهم الصبر إلى أن أمرهم بالقتال ، و كان في مقدمة جيوش المسلمين يمتطي فرسه ثم كبر تكبيرتين و دعى الله أن يعز الإسلام و المسلمين ، ثم إستطاع أن يفتك بقائد الفرس و كان النصر حليف المسلمين في المعركة .

بعد ذلك أرسل النعمان لعمر بن الخطاب يبشروه بالنصر ، و حتى حان الليل ظل المسلمين يطاردون الفرس في الصحراء ، و وصل عدد القتلى في هذه المعركة لما يتعدى مائة ألف .

## إستعدادات النعمان بن مقرن للحرب

في ذاك الوقت طرح الفرس أشواك من حديد في الأرض ، التي تحيط بمدينة نهاوند ، و حين بعث نعمان عيونا تستكشف المكان ، اكتشفوا أمر الشوك حينها فهم النعمان أنه عليه أن يعد جيشا ، يتعدى ثلاثون الفا من المقاتلين ، و عليه أن يستعين ببعض القادة و منهم حذيفة بن اليمان ، و القعقاع بن عمرو و مجاشع بن مسعود و سويد بن مقرن ، و في ذاك الوقت كان الفرس ينظمون قواتهم تحت قيادة الفيرازان .

## إنطلاق المعركة

التف جيش المسلمين حول نهاوند ، و كان جيش الفرس بداخلها حينها طلب قادة الفرس ، أن يدخل لهم أحد من رجال المسلمين ليتحدث إليهم ، فاختار المسلمين المغيرة بن شعبة ، و كان رجل قوي البنيان ذو شعر مسترسل ، و كان يعرف أيضا بأنه داهية المسلمين ، و حينها بدأ المسلمين في التفكير هل عليهم أن يرسلوا المغيرة بالشكل الطبيعي لهم ، زاهدين في ملابسهم و طعامهم أم يتهيأ لهم ، و في الوقت ذاته كان الفرس يفكرون بنفس الطريقة .

بعدها دخل المغيرة للفرس فصاروا يعاملوه معاملة سيئة ، حتى أن المغيرة أستنكر معاملتهم كثيرا ، بعدها جلس المغيرة مع بندار قائد الفرس ، و بدأ بندار بالحديث بكل سوء و بكل سخرية ، فكانت ردود المغيرة كلها توحي بمدى دهائه و مكره ، لدرجة أن بندار ثار ضيقا منه و شعر أنه خطر على معنويات جنوده .

## خطة الاستدراج الذكية

كان الموقع الحصين لمدينة نهاوند وسط الجبال الشاهقة يمثل عقبة كأداء أمام المسلمين؛ لعدم معرفتهم بتعداد الجيوش الفارسية وقوتها وتسليحها، وقلة هذه المعلومات أخرت إعداد خطة الهجوم على المدينة، وجعلت القائد النعمان يفكر في الاعتماد على سلاح المخابرات والاستطلاع الإسلامي للإتيان بالأخبار؛ فأرسل النعمان ثلاثة من أفضل الفرسان المسلمين وهم: طليحة الأسدي، وعمرو بن معدي كرب، وعمرو بن المثنى، فدخلوا إلى عمق الأراضي الفارسية، وسلكوا مفاوز وجبالا شاهقة ولم يستطع العمران: ابن معد يكرب، وابن الثني أن يكملا السير، واستمر طليحة في مهمته الفدائية، حتى استطاع أن يجمع معلومات كافية عن مدينة نهاوند، والتجهيزات الفارسية، ولما تأخر في الرجوع خاف الناس أن يكون قد ارتد عن الإسلام مرة أخرى؛ لأنه قد سبق وادعى النبوة؛ فلما رجع بالأخبار كبر الناس فرحا برجوعه؛ فلما علم بمخاوفهم استرجع حزنا على ظنهم فيه.

((وفي ذلك درس وعظة بالغة لأرباب المعاصي والكبائر: أنهم لابد أن يفكروا كثيرا قبل أن يقدموا على هذه المعاصي والكبائر؛ ذلك لأن شؤمها ولوثتها ستطارد أصحابها ولو بعد حين، حتى بعد التوبة والإنابة، فرغم ذلك ستظل الذاكرة تحفظ هذه السقطة لصاحبها، وإن غفر الله له وعفا عنه؛ فليحذر ذلك العصاة والمذنبون؛ بلا يأس وقنوط من رحمة الله، وبلا رغبة عن التوبة إليه)).

علم النعمان أن الطريق مفتوح إلى نهاوند، وأنه لا توجد حاميات ولا حراسات في الطريق، فعبأ جيشه وهم ثلاثون ألفا، وتحرك بهم بسرعة حتى وصل إلى أجوار مدينة نهاوند، ولما وصل إلى أجوار مدينة نهاوند، كبر النعمان وكبر معه الناس تكبيرة هائلة زلزلت قلوب المجوس الذين تجهزوا للقتال، وبالفعل أنشب النعمان القتال بعدما حط الأثقال يوم الأربعاء والخميس، والحرب بينهما سجال، ثم عاد كل فريق إلى معسكره، وعقد النعمان مجلسا استشاريا لقادة جيشه؛ للتشاور في كيفية الهجوم على هذه المدينة الحصينة، وتكلم العديد من القادة وأبدوا آرائهم، ولكنها لم تلق قبولا عند معظم الحاضرين، حتى تكلم الخبير العسكري الكبير طليحة الأسدي قائد سلاح الاستطلاع فقال: «أرى أن نرسل خيلا لينشبوا القتال، فإذا اختلطوا بهم رجعوا إلينا استطرادا –يعني انسحاباً تكتيكياً–.